الإنسان والحضارة

إن فهم حقيقة النفس الإنسانية أمر بعيد المنال عن طريق العلم التجريبي المعملي، وكل ما يمكن أن يقدمه هذا العلم هو الوصف التشريحي المستفيض، وبعض الآليات (الفيزيولوجية) المعقدة في المجال المادي.

وإن كان الغموض ما يزال يكتنف الإنسان في بعض الجوانب المادية و(الفيزيولوجية)، حيث تقصر الوسائل عن كشف هذا العالم العجيب، ويضطر العلماء في أحايين كثيرة إلى استعمال عبارات متواضعة: كمجهول السبب، وغير مؤكد السبب، وغير معروف الكُنْهِ والآلية، مكتفين في بعض الحالات بوصف المظاهر والأعراض والعلامات.

وكما يقول الدكتور (ألكسيس كاريل): « فإن أغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل دون جواب، لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية مازالت غير معروفة، فنحن لا نعرف الإجابة على أسئلة كثيرة . . .).

وقد اختلف الفلاسفة منذ القديم - بعيداً عن الوضوح الذي قدمه الدين - في تعريف النفس، وصلتها بالعقل والقلب والروح، وإذا فتحنا أحد المعاجم العربية نجد أن لفظ القلب يعني محض الشيء وحقيقته، ولفظ العقل يدل على العلم بصفات الأشياء وفهمها، وقد وردت كلمتا العقل والقلب في القرآن الكريم مترادفتين، والجسم هو كل ماله طول وعرض وعمق، والجسد كالجسم لكنه أخص، ولا يقال الجسد لغير الإنسان من خلقٍ كالأرض ونحوه.[1]

ويطلق الإمام الغزالي لفظ النفس للدلالة على معنيين: معنى عام ومعنى خاص، فيقول: «للنفس معنيان: أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع

---

(١) راجع : لسان العرب. مادة: (جسد)، (عقل)، (قلب).

التصوف، لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة في الإنسان، فيقولون: لابد من مجاهدة النفس وكسرها، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: ﴿ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ﴾.[1]

المعنى الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها، وهي الإنسان بالحقيقة، إنها نفسه وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها.

فإذا سكنت تحت الأمر، وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، سميت بالنفس المطمئنة. قال الله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾.[2]

وإذا لم يتم سكونها، ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية، ومعترضة عليها، سميت بالنفس اللوّامة، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه، قال الله تعالى: ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوّامة ﴾.[3]

وإذا تركت الاعتراض، وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان، سميت بالنفس الأمّارة بالسوء؛ قال الله تعالى إخباراً عن يوسف - عليه السلام - أو امرأة العزيز: ﴿ وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء ﴾.[4]

ويقول في موضع آخر في تفسير المعنى العام للنفس: « وهي الإنسان بالحقيقة، ومحل المعقولات والتفكير والتمييز والروية[5]

وإذا أخذنا كيان الإنسان ككل في ضوء القرآن الكريم، نجد أن الإنسان قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، فأولاً تسوّى قبضة الطين جسداً، ثم ينفخ فيه الروح، وعندها يصبح له كيانه وكرامته وقيمته، يقول الله تعالى مخاطباً الملائكة: ﴿ إني خالق بشراً من طين. فإذا سويته

---

(١) رواه البيهقي في كتاب (الزهد) بإسناد ضعيف.
(٢) سورة الفجر. الآيتان: ٢٧- ٢٨.
(٣) سورة القيامة. الآية: ٢.
(٤) احياء علوم الدين. ج:٣. ص:٣. والآية: ٥٣، من سورة يوسف
(٥) الرسالة الدينية. ص: ٧. .

ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾.[1]

ويقول الرسول ﷺ: ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله تعالى إليه ملكاً بأربع كلمات، فيكتب عمله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ﴾.[2]

ويبين علم الجنين: أن الجنين يدخل بعد الشهر الثالث في مرحلة خلقية متميزة ، وهامة جداً (مرحلة ما بعد ١٢٠ يومًا)، ويتخذ وجهه شكله الإنساني المميز، ويشهد ازدياداً سريعاً في طوله ونموه، ونشاط حركاته، وتكوّن الخلايا العصبية في المخ، وإنشاء المراكز العصبية المسؤولة عن الحركة والحس والذاكرة والعاطفة والكلام والفكر. . . وغيرها من المراكز التي يصبح بها إنساناً.

إن القبضة من طين الأرض تمثل جسم الإنسان وأعضاءه، وما يصدر عنه من نشاطات، وقد ثبت حديثاً أن جسم الإنسان مكون من ذات العناصر التي يتكون منها طين الأرض.

وأما الروح فهي حقيقة خفية، وبعيدة عن متناول الحس، وهي سر إلهي أودعه الله في هذا الهيكل المادي، وندرك آثارها في الحياة، وهذان العنصران: الروح والجسد، مترابطان منسجمان، يتكون منهما كيان الإنسان الموحد المتوازن المتفرد.

فقد أنشأه الله - سبحانه - خلقاً آخر يختلف عن الحيوان والملائكة، وليس هناك صراع أو تنافر بين الجسم والروح، كما أنه ليس هناك انفصال بينهما، وإذا ما انفصلا فلن يكون هو الإنسان السوي أو الإنسان.

ونتيجة للارتباط الوثيق بين هذين العنصرين، فإن ما ينتاب الإنسان من قلق وعلل نفسية، ينعكس أثره على الجسم والعضوية.

وقد أجرى الدكتور (بريل) إحصاء دقيقاً لانعكاس القلق والاضطرابات

---

(١) سورة ص. الآيتان: ٧١- ٧٢.

(٢) صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق.

النفسية على وظائف جسم الإنسان، فتبين له أن ٣٠٪ من المشكلات النفسية والاجتماعية تنعكس على جهاز الهضم، أما النسب الباقية فإنها تنعكس على الوظائف الغريزية الخاصة بالجهاز العصبي والقلب والجهاز التناسلي والبولي و..

وإذا أردنا أن نستعرض أثر الاضطرابات النفسية على أجهزة الإنسان المختلفة، والأمراض الوظيفية التي يصاب بها دون وجود أي مبرر عضوي، فإننا نحتاج إلى كتابة فصول مطولة للحديث عن التأثير في كل جهاز، ويمكن الاطلاع عليها وتقصيها في مراجعها العائدة لاختصاصاتها الطبية.

ومن المناسب هنا أن نذكر كلمة للدكتور (جوبر) الذي يقول: « إن في استطاعة ٣٠٪ من المرضى الذين يقصدون الأطباء، أن يعالجوا أنفسهم بأنفسهم، إذا هم تخلصوا من القلق والخوف الذي يحرض الأمراض العضوية، والتي منها عسر الهضم وقرحة المعدة والاضطرابات القلبية والصداع وبعض أنواع السعال».

وبالتالي فإن نشاطات الإنسان ومشاعره، يجب أن تكون ملبية لكلا العنصرين، ومصوغة بقالب إنساني، كما يجب أن تكون متوازنة، لتناسب كيان الإنسان القائم على التوازن بين الروح والجسد والعقل والقلب.

كما أن الحلول والمعالجات التي تقدم للإنسان ينبغي أن تكون مراعية لكرامته وتفرده في هذا الكون، وهي لن تكون كذلك إلا إذا جاءت من عند خالقه؛ خالق هذا الإنسان الذي أناط ـ سبحانه ـ بهذا الكائن عمارة الأرض، وزوّده بأدوات الخلافة، وفي مقدمتها العلم والإرادة والفكر والاختيار بين الأبدال، وكفاه أمر نفسه ونهجه، فوفر عليه عناء البحث فيما لاطائل وراءه، وصان جهوده من الضياع والتبدد، وحفظ له كيانه من التمزق والقلق، فأرسل إليه خبراء على مدى التاريخ الإنساني؛ يحملون هذه الحلول والمعالجات.

إن معرفة الإنسان لحقائقه، وخصائصه، وتاريخ هدايته وانحرافه، وخط رقيّه وتخلُّفه، وشموخ حضارته أو جنوحها؛ يسهم في رسم طريق المستقبل، وبيان أصول البناء، وتمييز الإنسان العليل من السوي، وتشخيص المشكلات وعلاجها، وبالتالي يصبح علم النفس

الإنساني وتاريخه مهيئاً لخدمةالإنسان.

وإذا أمعنّا النظر في الرسم البياني للتاريخ البشري نجد مايلي:

أولاً: خـط التقـدم العلـمي والمـادي:

وهو خط صاعد متنام في عمومه منذ خُلق الإنسان، وأُودعت فيه الرغبة في المعرفة، وأقرب مَا تُلاحظ هذه الدوافع الفطرية في حب الطفل للتعرف على ماحوله، وسبر أعماق الحاجات، وتشوقه للاكتشاف، وأسئلته المتواصلة، وانشداهه بالجديد، ورغبة الإنسان هذه في معرفة خصائص المواد؛ والعلوم الطبيعية، والقوانين الكونية تدفع لمزيد من البحوث والتجارب والاكتشافات في سلسلة متزايدة، ويضع كل إنسان -مهما كان انتماؤه الفكري- خبرته ليستفيد منها الآخرون، ويضيف لبنة جديدة في سبيل بناء وتحسين وتجميل (العمارة) المادية للأرض.

وكان للجهد المشترك الدؤوب، الذي بذلته الأجيال المتعاقبة فعله القوي وآثاره العملية، في تشييد هذا الخط الصاعد. وقد شارك الإنسان على مر العصور في الارتقاء العلمي والمادي رغم اختلاف اللغة والعقيدة والموطن..

وفي العصر الحالي خطت البشرية خطوات مادية هائلة، وحدثت نقلة بعيدة في الأرض وإلى الفضاء، وتطور علم الوراثة، وحصل تقدم علمي وتقني رائع، وتجلت روعة الإبداعات، وبراعة الاختراعات، وجنى الإنسان من ثمرات هذا التقدم، ومن معطيات هذه النقلة في قطاع الخدمات المادية المتنوعة الشيء الكثير، وتطورت مظاهر حياته، وصور معاشه، ووسائل انتقاله، وأنظمة معاملاته، وطرق اتصالاته، وأدوات أعماله، والتشكيل الإداري لتنظيماته، ودقة حاسباته.

وهذا الخط جزء من وظيفة الإنسان في عمارة الإرض، وجانب من الدور المنوط به في ترقية الحياة، ووسيلته في المشي في مناكب الأرض، وبذل الجهد لكشف مجاهيلها، واستخراج خيراتها الدفينة، والأكل من رزق الله، والاستمداد من عطائه المتاح لكل إنسان، حسب ما يبذله من جهد، وهو لايساوي خط الرقي الإنساني، ولا يمثله، ولا يغني عنه.

وتختلف درجات صعود هذا الخط، ونوعية النبوغ العلمي، وصور

النشاط المادي من عصر إلى عصر، وفي العصر الواحد من مجتمع إلى آخر، استناداً إلى عوامل مختلفة.

ثانياً: خـــط الرقـــي الإنســـاني:

وهوصاعد وهابط؛ حسب التزام الإنسـان بالمنهـج الرباني الذي يدعو إلى العـلم، ويحض على طلبه، ويصـونه بالتوجيهات المفـيدة، ضمن منهـج متكامل، حتى لا يكون وسـيلة للشر والفساد والإفسـاد، وهوأسـاس وظيفة الإنسـان في الأرض، ومُقـدم على الجـانب المادي، لأنه يتعلق بـ (إنسـانـية) الإنسـان وكيانه وجوهره، ووجوده الحقـيقي، بينما خط التقدم المـادي يتعلق بتحسـين الظـروف المعيشـية، وتجميل الحيـاة المـادية للإنسـان، وبالتـالي فإن (جوهر) الإنسان، وكيانه، وكرامته الإنسانية أهم من (مظـــاهر) وجـوده، وصور أنظمته، وزخارف أشكاله.

والإنســان لايستطيـع أن يحقق كيانـه الإنساني المتميـز بغيـر (الأصـــل العقـدي)، الذي يقوم على الإيمان والتوحيد، ولايستطيـــع أن يعيش حراً مكرماً بغير (المنهج المنزل)، الذي يكفـــل له كرامته الإنسانية الحقيقية، أو يمكن أن يعيش، ولكن على هامش الحياة، في حظـيرة كالأنعـام أو أضل، حـياة خـيرَ منها الموت، ولكنه يسـتطيع أن يحقـق كيانه الإنســاني السـامق، ولو بمسـتوى متواضع من المظاهر المادية، ويمكن أن يرتقي في درجات العلم والمعرفة والإيمان، بتوفر الحاجات الأساسية الضرورية لحياة الإنسان، ويمكن أن يعيش، ولو بقدر بسيط من العطاء المادي المتاح له، بمقدار كدحه وعمله، أو بما يقدمه له المجتمع المتكافل إذا كان مستحقًا.

وقد افترق خط الرقي الإنساني عن خط التقدم المادي على مرالتاريخ. فمثلاً في زمن الفراعنة، وقبل آلاف السنين، حصل تقدم مادي ما تزال آثاره باقية إلى الآن،وفي مجتمع العزيز بمصر، ازدانت القصـــور الفخمة بالأثاث الفـاخر، والمجالـس الحمـراء المخمـلية، ووسـائل الـترف، وأدوات الأثـرياء المنزلية، كاستعمال السكاكين في المـآدب والحفـلات في ذلك الزمـن الموغل في التاريخ، ولكن خـط الرقي الإنسـاني والأخـلاقي عـندهم كان منحـدراً إلى الحضيض، وأكثروا الفساد في البلاد، وطغوا على العباد.

وفي عهد الرعيل الأول، ارتفع خط الرقي الإنساني إلى القمة، وكان الجهد في البداية مكرساً على تنشئة الإيمان الخالص، وإنشاء الجيل الفريد، وكان الاهتمام في الدرجة الأولى منصباً على تكوين المجتمع المسلم، وإخراج الأمة المسلمة، ووضع أسس الانطلاقة العلمية[1]، وتأصيل قواعد النهضة الشاملة.

وارتقى الإنسان إلى أعلى الدرجات، وشيدت (حضارة إنسانية) فريدة، ثم اشتدت - بعد مرحلة التأسيس - سرعة خط التقدم المادي، ونشطت الحركة العلمية، في نفس الوقت الذي كان الغرب منحدراً في كلا الخطين، ويعيش في ظلام قرونه الوسطى.

وبينما كانت أوربا تغرق في بحر الظلام والجهل، وترزح تحت نير الكنيسة التي تضطهد الناس، وتعذب العلماء، كان العالم الإسلامي يشرق بنور الله، والنفوس تستضيء بالهدى والإيمان، وشمس الحق تسطع على الأرض، ومنارات العلم تشمخ في السماء، ورايات المعرفة تخفق في الهواء، ومشاعل النور تبدد الظلمات، وأفواج طلاب العلم تتوافد، ومواكب العلماء تموج في العالم الإسلامي.

ونبغ نخبة من العلماء كالحسن بن الهيثم الذي ترك آثاراً خالدة في علم الرياضيات والضوء، وظلت نظرياته في علم البصريات تدرس في أوربا حتى القرن التاسع عشر، والزهراوي الذي بقي كتابه (التصريف) معتمداً في أوربا لمدة خمسة قرون، وترجم إلى اللاتينية خمس مرات؛ ويعتبر هذا الكتاب موسوعة طبية تشمل كل ما يتعلق بالطب في زمانه (الطب الباطني، علم الأدوية، الجراحة، أمراض النساء)، والرازي حجة الطب في أوربا حتى القرن السابع عشر، وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية، وابن سينا صاحب كتاب (القانون في الطب)، وابن البيطار، أعظم عالم نباتي، وابن رشد الذي خلده التاريخ، وجابر بن حيان، عالم السموم والكيمياء، والبيروني الذي وضع كتاباً في الصيدلة. وغيرهم من العلماء...

---

(١) أول ما نزل من القرآن: (إقرأ..) مطلع سورة اقرأ. انظر: الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي. ج١. صفحة ٢٣.

وما يزال يتكرس انتكاس الخطين في بعض العصور والأمصار، فينعم الناس بـ (تخلف) مزرٍ، وظلمات بعضها فوق بعض.

إن الحضارة المادية ـ إذا جاز لنا أن نطلق عليها اسم حضارة ـ حققت اليوم ارتفاعاً شاهقاً في الجانب المادي، ولكنها لم تلتفت لخصائص الإنسان المتميزة المتفردة، وامتازت بالنشاط والحركة التي لاتفتر، والترتيب والتسهيل والتنظيم، والانضباط في التعامل، والالتزام بقدسية العمل، ودقة المواعيد، وأنظمة المرور، وشبكة المواصلات، وسرعة الاتصالات، وتقنية المعلومات، وتقدم الحاسب الآلي، وارتياد الفضاء، والتطور الصحي والدوائي، والأبحاث المعملية...

ولكن جهودها اقتصرت على الشق المادي، وقلصت تنشئة الفرد على الجانب الأرضي، وجعلته عبداً للمادة أو الأرض، أو المصلحة، أو الوطن، أو التطور، أو . . .

ولم تكن تلك الجهود ابتغاء وجه الله، ولم تهتم بالجوانب الأخرى في تربية الفرد، ولم تُعن بكليات الإنسان المتلازمة المترابطة، ولم تحرص على بناء (الإنسان)، الذي تتسع إنسانيته وعدالته ونزاهته لتشمل كل بني الأنسان؛ بعيداً عن مصالحها الضيقة، وأطرها المحدودة، وحدودها المرسومة، ولم تتعامل مع (الإنسان) ككل، متجردة عن نزعتها العنصرية، ورغبتها العدوانية، وشهوتها التسلطية، وعنجهيتها الجاهلية، وغطرستها الماكرة، وغرورها المشين، وتعنتها الأرعن، وتحيزها الظالم، وحقدها الدفين.

وخلال أيام تألقها، وتضخمها، وانتعاشها الظاهري، لم تحس بمرضها المستبطن؛ الذي ينتشر ببطء شديد، وينتقل إلى أجزائها على مراحل، وينخر في عظامها، ويسري في عروقها، ويمهلها إلى حين.

وفي غمرة نشوتها واستكبارها، وأثناء هزة صَرَعِها وفوعة بطرها، وخلال خروجها على الأقوام بزينتها، وعند مرورها بدور الصولة من مرضها، فقدت رشدها، وفسدت ضمائرها، وطغت بما أوتيت من قوة وغنى، وجندت قوتها وتفوقها العلمي والتقني للظلم والعدوان، وتصورت الحق ينطلق من فوهة مدفع، وليس من ميزان العدل، وسخرت أموالها المشروعة وغير المشروعة،

وخططها الاقتصادية الدورية لمصالحها وبرامجها الخاصة، ولفرض التبعية والهيمنة على الشعوب، والضغط عليها وتهديدها وقهر إرادتها، واستغلال مواردها وخاماتها الأولية، واحتكار أسواقها التجارية، ومنافسة منتجاتها الزراعية، وتحجيم صناعاتها النامية، وعرقلة تطورها الذاتي. ولم تتورع عن امتصاص خيرات الشعوب المستعمرة، ونهب ثرواتها الظاهرة والكامنة من أجل بناء تقدمها، ودفع حركتها، وإنماء اقتصادها، وإشباع نهمها.

ولم تعِ أن الإعمار المادي للأرض، وتسخير الكون للكائن الإنساني، هو دور مرسوم منح له، وأنه جزء من وظيفته الشاملة في الحياة؛ المتمثلة في معنى العبادة الواسع، وليس هو خرقاً للنظام الكوني، أو تحدياً للإله، أو صراعاً مع الطبيعة كما تدعي!

ولم تعقل كم جنت على نفسها بابتعادها عن الهدي الرباني، وحرمان عبيدها من النعمة الإيمانية!

ولم تفقه كم خسر العالم بانحطاط المسلمين عن دورهم الشاهد على الناس، وكم خسرت البشرية بتنحية الدين عن واقع الحياة!

ولم تحسب نهايتها (الفرعونية) وهي تترنح في عطاء العاجلة!

ولم تتوقع أخذها المباغت، وهي تمني نفسها بطول الأمل وتأخير العقاب!

ولم تفكر في مصيرها، وهي تبطر معيشتها، وتُعجل لها طيباتها، وتُمهل في عذابها، وتُستدرج إلى حتفها!

ولم تصدّق صيحات الخطر، وهي تعبر البر والبحر والفضاء!

ولم تعترف بالعجز، وهي تتحرك بأعضاء صناعية (مزروعة)!

ولم تطق ذكر الحق وهي غارقة في الفسق والفجور، ومخبولة بالضلالات والاختلالات!

ولم ترقب السُّنَّة الربانية في تدمير القرى المترفة الفاسقة، وهي تستعرض عضلاتها المتورمة، وقوتها الظاهرة!

ولم تتعظ بنفسها، وهي ترى آثار أسلافها من الطواغيت المندثرة والحضارات البائدة!.

إن نبذ المنهج الرباني، وتطبيق المناهج الوضعية، واتباع السبل المتفرقة أدى إلى انحدار خط الرقي الإنساني، وتحويل حياة الناس إلى قلق، وصداع وشقاء، وأزمات، وضغط أعصاب، وضيق نفس، وكتمة صدر، وغليان أحشاء، وشد رقاب، وسطام قلوب، وألوان قاتمة في الجنوب، وحوادث مفزعة من الجرائم، وطرق وحشية في الاغتصاب، وويلات مدمرة من الحروب، وفنون مذهلة من الانتحار، وأشكال جديدة من المرارات، وخسائر جسيمة من المسكرات، وصرخات موجعة من الجور، وهياكل عظمية من الجوع، وأبدان مترفة من التخمة، وصور بائسة من الشواذ، ومناظر مضحكة من المخنثين والمسترجلات، وأكوام متناثرة من اللحوم الآدمية المعروضة.

كل ذلك على الرغم من الإنتاج الصناعي الضخم، والتفوق المادي والعلمي، الذي استخدم في بعض جوانبه منافياً لمصلحة الإنسان، ووسيلة للشر، كما في الحروب وسعار التسلح، والتجسس، والتعذيب، وتلويث البيئة، ووسائل الإفساد، وأساليب الاحتيال، وأدوات الإرهاب، وأجهزة الاستقبال الحديثة، المستخدمة في الهدم الأخلاقي والتخريب الأسري والاجتماعي، والسموم الكيميائية، وبعض المستحضرات الدوائية، والتدخلات الجراحية التي استغلت في تغطية الفواحش.

إن الحضارة المادية قائمة على أسس غير سليمة، وعلى معرفة جزئية بحقيقة الإنسان، وعلى نظرة سطحية للكون والحياة، وعلى تصور قاصر عن الله ـ سبحانه ـ والوجود، وهي تصَّعّد بقدم واحدة في مسار مادي شاهق، وتبصر بعين واحدة إلى النصف الأسفل من المشهد، وتغطي العين الأخرى، وتزن قضايا البشر بموازين، بعضها من ذهب، والأخرى لاتصلح إلا للحطب، وتكيل لهم بمعايير متغايرة، حسب مزاجها ومصالحها، ودوافع محافلها الموجهة، والقابعة وراء الكواليس، وليس على أساس الحق والمساواة والموضوعية، والمبادىء الثابتة، والمواثيق الشرعية، ونصرة المظلوم، و(حقوق الإنسان !).

ولو أخذت البشرية بالمنهج الرباني؛ الذي يعيد صياغة الإنسان من جديد، ويرتقي به في درجات الكمال والجمال، ويُعلي من شأن أواصر

القربى وصلة الرحم، وتكوين الأسرة، وترتيب علاقاتها على الأصول المثالية التطبيقية، ويعيد تأسيس المجتمع، وتشكيل أنظمته بطريقة متفـردة، وتحـويل أفـراده من عبـيد و أصفـار إلى كـرام وأحرار، ويصبـغ الحياة بصبـغة جـديدة، ﴿ ومن أحسن من الله صبغة﴾[1]، وينتقل إلى إنشاء الأمة، وإخراج عناصرها على خـير وجه، واسـتئناف دورها الريادي، وإقامة النظـام العالمي على أساس العدل، وتولية وجهة العالم المتناحر في خضم الأمواج المتلاطمة، شطر شاطىء الأمان والسلام والحق والخير والاطمئنان.

ولو أحاطت هذا المسار المادي المحـفوف بالأخـطار، بالسـياج الراقي الواقي من الوقـوع في الحمى والأشـواك، والمتـألق بالأنـوار الكـاشفة، والمُتعهد بالإرشـادات الهادية، وتطلعت إلى السماء، وهي تمـشي على الأرض سـوياً على صراط مستقيم، ثم تواكب هذان الخطان في صعودهما على هدى وبصيرة وعلم، لتحققت بالفعل حضارة إنسانية راقية، شاملة، تحفل بالخير، وتزخر بالتكريم، وتسعد الإنسان بدل كل هذا الشقاء.

---

(١) سورة البقرة. الآية: ١٣٨.